الصورة الشعرية في قصيدة الأطلال إبراهيم ناجي

طالب الماجستير حسين عاشور كاظم البخاتي
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
الدكتور جواد سعدون زاده (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
j.sadounzadeh@scu.ac.ir

The poetic image in the poem of ruins Ibrahim Nagy

Majestr student Hussein Ashour Kazem Al-Bakhati
Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University Ahvas , ahvaz , Iran
Dr. Javad Sadounzadeh (Responsible author)
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University ahvaz , Ahvas , Iran

الملخص:-

لقد شهد مطلع القرن التاسع عشر أحداثاً ووقائع وتغييرات جذرية حدثت في مصر على كافة الأصعدة ومنها التطور العلمي والأدبي والنهضة الفكرية التي جاءت بعض ثمارها شهيّة وأنواعها كثيرة لا حدود لجمالها وتألقها وارتقاء مستوياتها نحو الأفق الأعلى، فكثر المطبوع والمقروء من الأدب والشعر العربي، وتنبه الناس بمصر إلى أن ثمة آدابًا غنية ومعارف وافرة قد وصلت نحو الأفق في مستهل ذلك القرن،وموضوع الشعر بمصر ليس موضوعًا هينًا حيث يعتبر إبراهيم ناجي من روّاد التجديد وأعلام الشعر العربي المعاصر وواسطة العقد بين كوكبة الشعراء المصريين المجدّدين، الذي تأثر به كثير من شعراء العصر الحديث.

ونلاحظ أن شعره كان له طابعه الخاص وبالأخص شعره الرومانسي الذي كان يتصف بتجديد موسيقى الشعر وبالحيوية في مفرداته وتراكيبه بالإضافة لقوة خياله في نسج أحداث تجعل من شعره حقيقة وقوة، ومشاعر مرهفة وأحاسيس لا توصف، فكانت أفكاره وأساليبه هي مصدر الطاقة في شعره.

في هذا البحث نحاول إلقاء الضوء على موضوع الشعرية في قصيدة الأطلال للشاعر إبراهيم ناجي، الذي كان شاعراً مجدداً في أسلوبه الشعري من حيث الموسيقى والأوزان الشعرية والوصف والتحليل العميق والخيال الخصب.

وكان إبراهيم ناجي شاعراً مبتكراً في مفرداته وفي معاني كلماته وفي جوهر أحاسيسه وعواطفه، فكان يعطي الرومانسية حقها الكامل في الأحاسيس الجيّاشة والمشاعر الكبيرة والخيال الخصب والعواطف العميقة[1].

الكلمات المفتاحية: إبراهيم ناجي، الشعر، الاطلال، الصورة الشعرية.

Abstract:-

The beginning of the nineteenth century witnessed events, facts, and radical changes that took place in Egypt at all levels, including the scientific and literary development and the intellectual renaissance, some of which came as delicious fruits and of many types. That there are rich literatures and abundant knowledge that reached the horizon at the beginning of that century, and the subject of poetry in Egypt is not an easy topic, as Ibrahim Nagy is considered one of the pioneers of renewal and the flags of contemporary Arab poetry and the mediator of the contract between the constellation of Egyptian poets renewal, which influenced many poets of the modern era. We note that his poetry had its own character, especially his romantic poetry, which was characterized by the renewal of poetry's music and vitality in its vocabulary and structures, in addition to the power of his imagination in weaving events that make his poetry real and strength, delicate feelings and indescribable feelings, so his ideas and methods were the source of energy in his poetry. In this research, we try to shed light on the subject of poetry in the poem Al Atlal by the poet Ibrahim Naji, who was a poet again in his poetic style in terms of music, poetic weights, description, deep analysis and fertile imagination. Ibrahim Naji was an innovative poet in his vocabulary, the meanings of his words, and the essence of his feelings and emotions. And I ask God Almighty that this work be successful and completed to the fullest and that it be a reference for the benefit of every critic, writer and analyst, and who aspires to delve into a new experience in the field of criticizing the new visions of the poet Ibrahim Naji and to reach in his research his desired goals.

Key words: Ibrahim Naji, poetry, al-Atlal, poetic image.

المقدمة:ـ

يلحظ الدارس لشعر إبراهيم ناجي كثرة الدراسات التي تناولت أدبه عموما، وشعره خصوصاً الذي انتشر في بقاع الأرض بعد موته ولاسيّما الشعر المتعلق بالموسيقى والغناء وتأثر الشاعر إبراهيم ناجي بالتراث العربي القديم وبالأخص الموشحات الأندلسية التي كان يكتب على غرارها في تنظيمه لقوافي أبياته الشعرية وتجزأتها.

وهذه كلها تعود لدوافع متباينة، وكانت شاملة أغلب الجوانب الأدبية، ومنها ما يخص الجانب الإنساني في حياة الشاعر، وما يثيره من تجاذبات واختلافات في الرأي تقف منها لصالح الشاعر وشعره، ومنها ما وقف متسائلا، بل مثيرا للأسئلة حول هذا الشاعر، وما يحيط به من تناقضات وتحفظات على غير صعيد.

ولقد أكد الدارسون في المجال الأسلوبي على أن دراسة اللغة الشعرية التي تخرج العبارة من حيادها هو أساس دراسة الخطاب الأدبي والأسلوبية جاءت بمفهوم الانزياح الذي يشير إلى الصراع بين اللغة والإنسان(٢).

ويسهم التحليل الأسلوبي للغة النص في إظهار رؤى الكاتب وأفكاره وملامح تفكيره، وكذلك يجلو لنا ما تحوي به الألفاظ في سياقاتها من مغزىً ومعاني ينطوي عليها النص، ونلاحظ التغيير في نمط أسلوب الشاعر إبراهيم ناجي وبالأخص على الصعيد الرومانسي، فلا يُمكن لأي أحد أن يلوم العاشق أو أن يعرف ما يدور في خواطره من أفكار ومشاعر وأحاسيس.

وكل شخص في هذا الوجود يملك مزاج نفسي خاص به، يحكم سلوكه وردّات أفعاله، وآليات تفكيره، ولاسيّما (الشعراء) الذين تعرف عنهم عادةً أنماط معيشة خاصة بهم، فـ واقع الشاعر النفسي غير الواقع المألوف، إذ أن العلاقة بين النفس والأدب لا تحتاج إلى إثبات، وتتجلى لقارئ شعر إبراهيم ناجي سمات نفسية عديدة، منها ما وصل ومنها ما حضر حضور عابر لم يصل إلى مرحلة الظاهرة النفسية، وبعضها الآخر حضر بشكل لافت لا يدع شكاً لمتبّع شعره روح الرومانسية والفوضى والخوف.

الشاعر إبراهيم ناجي حياته ونشأته:

ولد الشاعر إبراهيم ناجي في ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٨ بحي شبرا في القاهرة، كان والده

يمتلك مكتبة ضخمة تضم آلاف الكتب في شتى مجالات الثقافة والمعرفة، مما كان له الآثر الكبير في بناء فكره وثقافته؛ حيث نظم الشعر منذ كان في سن الثانية عشر عاما، تخرج في مدرسة الطب عام ١٩٢٢، وتم تعيينه عقب تخرجه طبيبا في مصلحة السكك الحديدية ثم في وزارة الصحة، وشغل منصب مراقب عام القسم الطبي بوزارة الأوقاف(٣).

احترف ناجي الشعر إلى جانب عمله كطبيب.

ومن أهم دواوينه الشعرية: وراء الغمام، ليالي القاهرة، في معبد الليل، والطائر الجريح.

يُعد الشاعر إبراهيم ناجي من مؤسسي مدرسة أبوللو الشعرية وكان وكيلًا لها، أيضا كان رئيسا لرابطة الأدباء في الأربعينيات.

ومن أشهر قصائد ناجي: "الأطلال" التي لحنها الموسيقار رياض السنباطي وتغنت بها أم كلثوم بعد وفاته بـ١٣ عاما. وسوف تكون هذه القصيدة هي محور بحثنا الذي سوف نتناوله.

أصدر ناجي مجلة طبية باسم "حكيم البيت" كان ينشر بها توجيهات وإرشادات طبية، وله أيضا مؤلفات في علم النفس والاجتماع، وفن التراجم والسير والترجمات عن الإنجليزية والفرنسية والروسية، حيث قام بترجمة بعض الأشعار عن الفرنسية لبودلير تحت عنوان أزهار الشر، وترجم عن الإنجليزية رواية "الجريمة والعقاب" لدوستويفسكي، وعن الإيطالية رواية "الموت في إجازة"، كما نشر دراسة عن شكسبير، وألّف بعض الكتب الأدبية النثرية مثل مدينة الأحلام، أدركني يا دكتور، رسالة الحياة، وعالم الأسرة وغيرها(٤).

توفي شاعر الأطلال في ٢٤ مارس في عام ١٩٥٣، عن عمر يناهز ٥٥ عاما.

بدأت ميول ناجي الأدبية منذ صغره، فكان شغوفاً بالأدب العربي، وبدأ أولى محاولاته الشعرية وهو في الحادية عشرة من عمره، ولكن شغفه في اللغة العربية لم يمكنه من النجاح في مادة اللغة العربية في امتحان البكالوريا، ومن هنا اتجه للتركيز على الجانب العلمي من الدراسة، واستمر في مشواره العلمي ليتخرج في كلية الطب عام ١٩٢٣.

حفظ مبكراً ديوان الشريف الرضي، وشَغُفَ بأحمد شوقي، ودرس العروض وقرأ

المتنبي وابن الرومي وأبي نواس وغيرهم من الشعراء الفحول، ونهل من الثقافة الغربية فقرأ شيلي وبيرون وآخرين من رومانسيي الشعر الغربي. وقرأ الآداب العالمية باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وكان مغرماً بسماع الموسيقى، ولم يكن يهتم بالألعاب الرياضية(٥).

إبراهيم ناجي في ذاكرة الأدباء:

صدرت عن الشاعر إبراهيم ناجي بعد رحيله عدة دراسات مهمة، منها:" مع ناجي ومعها" للدكتور الأديب غازي القصيبي و ناجي حياته وشعره للشاعر صالح جودت، وناجي للدكتورة نعمات أحمد فؤاد، وشعر ناجي الموقف والأداة للدكتور طه وادي، وناجي حياته وأجمل أشعاره لوديع فلسطين، وإبراهيم ناجي للدكتور علي الفقي كما كتبت عنه العديد من الرسائل العلمية(٦) بالجامعات المصرية منها:

ظاهرة الاغتراب في شعر إبراهيم ناجي وعبد الله الفيصل ـ عرض وتفسير وموازنة للباحث الشاعرعزت محمود علي الدين، وهي رسالة دكتوراة في كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر في القاهرة،

رسالة بعنوان: صورة المرأة بين علي محمود طه وإبراهيم ناجي في الكلية سالفة الذكر أيضاً.

- برع ناجي في المزاوجة بين خطي الشعر والطب، وفي ذلك يقول:" خُلقتُ بقلبين: قلب الطبيب، وقلب الشاعر" وقال في ذلك شعراً:

الناس تسأل. والهواجس جمة	**طبٌ وشعرٌ كيف يتفقان**
الشعر مرحمة القلوب وسره	**هبة السماء ومنحة الديان**
والطب مرحمة الجسوم ونبعه	**من ذلك الفيض العلي الشان(٧)**

- اعتاد الشاعر أن يقضي وقته في مطلع شبابه بصحبة أصدقائه من أهل الشعر في المنصورة: علي محمود طه "شاعر الجندول"، وصالح جودت "شاعر النيل والنخيل" ومحمد عبد المعطي الهمشري "شاعر الريف"، وعلي أحمد باكثير، وعندما تعمقت موهبته الشعرية كان من المقربين لأمير الشعراء أحمد شوقي. بدأ حياته الشعرية عام

١٩٢٦ عندما ترجم أشعاراً للفريد دي موسييه وتوماس مور، وأول قصيدة نشرها كانت عام ١٩٢٧ بعنوان (صخرة الملتقى)؛ وكان على صلة بعدد من الشعراء منهم أحمد رامي، والشاعر الأردني مصطفى وهبي التل "عرار".

مؤلفاته الشعرية:

صدر ديوانه الأول "وراء الغمام" (١٩٣٤) و"ليالي القاهرة" (١٩٥٠) و"في معبد الليل" (١٩٤٨)، و"الطائر الجريح" وصدر بعد وفاته عام ١٩٥٧ ونشرته له دار المعارف، وجمع قصائده الشاعر أحمد رامي وقدم له الشاعر محمد عبد الغني حسن.

صدرت أعماله الشعرية الكاملة عام ١٩٦٦ عن المجلس الأعلى للثقافة، وجمع له "حسن توفيق" مجموعة من القصائد التي لم تنشر، أسماها: "إبراهيم ناجي ـ قصائد مجهولة" صدرت عام ١٩٦٨، ثم أصدر المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٦ طبعة بتحقيق الشاعر حسن توفيق، تضم كل شعر ناجي، تستبعد ما نُسب إليه من شعر غيره، كما تضم العديد من قصائده المجهولة التي عثر عليها محقق الديوان في العديد من المجلات والدوريات(٨).

جماعة أبولو:

عام ١٩٣٢ تأسست جمعية (أبولو) الأدبية وترأسها أحمد شوقي، وكان ناجي من مؤسسيها البارزين ووكيلاً لها وكان من أعضائها: خليل مطران وأحمد زكي أبو شادي وعلي محمود طه وأحمد رامي وصالح جودت ومحمود حسن إسماعيل وأبو القاسم الشابي وغيرهم؛ وسميت باسم [أبولّو] لشدة تأثر القائمين عليها بالثقافة الأجنبية التي جعلتهم يأخذون كلمة [أبوللون] من اليونان وهو اسم لإله النور والشعر والموسيقى عندهم، وهدفت الجماعة لتطوير الشعر وإنقاذه من التقليدية والتقريرية، واستعمال اللغة استعمالاً جديداً في دلالات الألفاظ والصور بما تدل عليه من إيحاء والميل إلى التجسيد والتشخيص واستخدام الرمز والميل إلى الكلمات الرشيقة والأسطورية والاهتمام بالتصوير الممتزج بالطبيعة والتعلق بجمالها، وتشخيصها ومناجاتها، والتزامهم بالوحدة العضوية في قصائدهم.

وأنشأ ناجي على أنقاض مدرسة أبولو (رابطة الأدباء)، واستمرت حتى وفاته عام ١٩٥٣م، ثم غُيِّر اسمها إلى رابطة الأدب الحديث.

ناجي... وأسياد الغناء:

يقول الناقد الفني "سعد الله آغا": "رَصَدَ نظام معلومات الموسيقى العربية حالة وحيدة للتغني بأشعار "ناجي"، في حياته، إذ لحن وغنّى الملحن والمغني المصري "محمد صادق"، أبياتاً من ثلاث قصائد لناجي: "الوداع "و"الغد" و"توأم الروح"، عام ١٩٣٥ في بدايات الإذاعة المصرية على الهواء ولم تسجل"؛ وغنى البيت الشهير: "هل رأى الحب سكارى"، ثم غنّى "كارم محمود" أبيات من قصيدة "الأطلال" بعنوان "لست أنساك"، ولحن محمد صادق لناجي مرة أخرى، قبيل غناء أم كلثوم لقصيدة الأطلال بعدة أشهر(٩).

بعد وفاته اختار "محمد عبد الوهاب" أبيات من قصيدة "الخريف" عام ١٩٥٤ وغناها بعنوان "القيثارة" ومطلعها:

أيُّ ســـــر فيـــــك إني لســـــت أدري كـل مـا فيـك مـن الأسـرار يُغـري(١٠)

ثم غنت "نجاة علي" أبياتٌ من قصيدة "الوداع" ولحنها محمد فوزي عام ١٩٥٤ وتضمنت البيت الشهير "هل رأى الحب سكارى".

وغنت المغربية "فوزية صفاء" قصيدة "ساعة لقاء"، وغنت القصيدة نفسها السعودية "ابتسام لطفي" من ألحان المغربي عبد الحميد بن إبراهيم، ولحن القصيدة نفسها رياض السنباطي بمرافقة العود. بينما أعاد غناء "الأطلال" كل من رباب العراقية ووديع الصافي وسعاد محمد ونجاح سلام(١١).

غنت أم كلثوم "الأطلال" يوم ١٩٦٦/٤/٧، ثم غنت عام ١٩٦٩ قصيدة "مصر" التي مطلعها:

أجـل، إن ذا يـوم لمـن يفتـدي مصـرا فمصر هي المحراب والجنة الكبرى(١٢)

قام رياض السنباطي بتلحين قصيدة "الغد"، وترك اللحن لأم كلثوم على شريط كاسيت، لكن القدر كان أسبق إليها، فآلت القصيدة إلى سعاد محمد؛ وغنتها بعنوان "انتظار".

قصيدة الأطلال:

قبل البدأ في القصيدة وتحليلها سوف نقوم بسرد قصتها:

ما هي القصة الحقيقية لكتابة قصيدة الأطلال؟

إنّ الشاعر إبراهيم ناجي تركَ الكثير من الأعمال الشعريّة، والقصائد ذات اللغة الجزلة المتينة، وممّا يجدر ذكره أنّ ديوان قصائده لم يُجمع إلا بعد وفاته، وقد وُضعت في الديوان مجموعة من القصائد ليست من نظْم إبراهيم ناجي، ومن قصائده: والليالي يا ما أمرّ الليالي، وانتحينا معًا مكانًا قصيًا، نزل الستار ففيم تنتظر، نداؤك يا فؤاد كفى نداء، وغيرها من القصائد، وتبقى قصيدة الأطلال هي الأكثر شهرة على الإطلاق من بين كلّ ما سبق.

أمّا عن قصّة قصيدة الأطلال، والسبب الذي دفع إبراهيم ناجي لنظم هذه القصيدة:

فهو ذلك الحب الذي عاشه إبراهيم ناجي، وصار بعدها حديثًا لكلّ الناس، وله الأثر الكبير في قلوب العاشقين، فقد أحبّ إبراهيم ناجي ابنة جيرانهم وهو في السادسة عشر من عمره، ولكن دراسته للطب أجبرته على السفر والابتعاد عن محبوبته، وبعد عودته من السفر صُدم بأنّ الفتاة التي أحبّها قد تزوّجت.

بدأت آلام الحب وأوجاعه تعتصر قلب إبراهيم ناجي، ومضى خمسة عشر عامًا ولم ينسَ محبوبته، إلى أن التقى في يوم من الأيام برجلٍ مُسنٍ وطلب منه الرجل أن يُسعف زوجته التي كانت تلد ولادة عسرة، وأخبره أنّها في حالة خطرة، فذهب إبراهيم ناجي الطبيب مباشرة إلى بيت الرجل، ودخل ورأى الزوجة مُلقاة على السرير ووجها مغطّى، ولاحظ أنّ نفَسها انقطع.

طلب إبراهيم ناجي من الزوج أن يكشف عن وجه زوجته كي تتمكّن من التنفّس، وكانت الصدمة بأنّ محبوبته القديمة هي التي كانت على السرير، وبعد أن أتمّ عملية الولادة، ورُزقت محبوبته بولد، وهي بصحّة جيدة، خرج وبدأ يجهش بالبكاء، والناس لا يعرفون السبب، وبعد أن عاد إبراهيم ناجي إلى منزله في وقت الفجر، ما كان منه إلّا أن كتب قصيدة الأطلال، عبّر فيها عما يختلج في صدره من مشاعر حزن وأسى[١٣].

غنّت أمّ كلثوم فيما بعد هذه القصيدة المشهورة، وهذا ما زاد من شهرتها وشهرة إبراهيم ناجي، وممّا يجدر ذكره أنّ أحمد رامي أضاف بعض الأبيات إلى هذه القصيدة، وغيّر في بعض مفرداتها، وقام بتلحينها الموسيقار رياض السنباطي، وبلغت أبياتها بعد

تعديل أحمد رامي ١٢٥ بيتًا.

من المرجح أن "الأطلال" كُتبت أواسط الأربعينات. وبحلول ١٩٤٦ كانت القصيدة قد اكتملت، إذ تم نشر مقاطع منها في مجلات مختلفة كالهلال وأبولو والرسالة، وقرأنا (٣٦) بيتاً منها في مجلة (المنتدى) الصادرة ذلك العام:

وكانت القصيدة من بحرالرمل:

يـــا فـــؤادي رحـــم الله الهـــوى	كـــان صـــرحاً مـــن خيـــال فهـــوى
اســـقني واشـــرب علـــى أطلالـــه	وارو عـــني ظامـــا الـــدمع روى
كيـــف ذاك الحـــب أمســـى خـــبراً	وحـــديثاً مـــن أحاديـــث الجـــوى
وبســـاطا مـــن نـــدامى حلـــم	هـــم تـــواروا أبـــداً وهـــو انطـــوى
يـــا رياحـــا لـــيس يهـــدا عصـــفها	نضـــب الزيـــت ومصـــباحي انطفـــا
وأنـــا أقتـــات مـــن وهـــم عفـــا	وأفي العمـــر لنـــاسٍ مـــا وفى[١٤]
كـــم تقلبـــت علـــى خنجـــره	لا الهـــوى مـــال ولا الجفـــن عفـــا[١٥]
وإذا القلـــب علـــى غفرانـــه	كلمـــا غـــار بـــه النصـــل عفـــا

يقول الأديب "نعمان عاشور": "أول ما أثار اهتمامي بناجي. الأبيات المحفوظة التي كانت تردد عن ملحمته الرائعة التي كتبها خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، ملحمة الأطلال... وهي مجموعة قصائد طويلة واحدة لم يعن ناجي بجمعها وإنما كانت تُنشر له تباعاً في مجلة "أبولو" وعلى ألسنة الشعراء المعجبين به أحياناً، وظلت كذلك متناثرة حتى جمعها بنفسه بعد سنوات وضمها أحد دواوينه، فتنتني الأطلال وفتحت مغاليق حسي وتذوقي على شاعرية ناجي، فانفرد بين كافة معاصريه بإعجابي".

يقول الكاتب مجدي شلبي إنه من المؤكد أن ناجى لم يكتب قصيدة الأطلال دفعة واحدة بدليل أنه نشرها مجزأة بالمجلات، ومنها مجلة الرسالة ومجلة الهلال ومجلة الحديث التي كانت تصدر في حلب بسوريا إلى أن اكتملت[١٦].

تحليل قصيدة الأطلال

ما هي المعاني الكامنة وراء قصيدة الأطلال؟

غلب على قصائد ناجي الخطاب الصوفيّ العذري في مخاطبة المحبوبة، إضافةً إلى قدرته على تطويع اللغة بما يخدم معانيه التي يريد إيصالها، وكثيراً ما ضمّن القصائد حِكمًا تعلمها في الحياة، وهذا ما سيتّضح في دراسة قصيدته الأطلال:

يا فُؤَادِي رحم الله ٱلْهَوَى

كَانَ صَرْحًا مِنْ خَيَالٍ فَهَوَى

اِسْقِنِي وَٱشْرَبْ عَلَى أَطْلَالِهِ

وَٱرْوِ عَنِّي طَالَمَا ٱلدَّمْعُ رَوَى

كَيْفَ ذَاكَ ٱلْحُبُّ أَمْسَى خَبَرًا

وَحَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ ٱلْجَوَى(١٧)

يبدأ الشاعر بالنّداء، وكأنّه يستغيث ويستنجد، وبعدها يتحسّر على أيّام الحب الخالية، ويستخدم التشبيه لهذا الحب وكأنّه صرح عظيم شامخ تداعى وسَقط، وبعدها يبدأ بالبكاء على الآثار الباقية من هذا العشق، ويتمنّى أن تُحكى قصّة هذا الحب لكلّ العاشقين؛ ليكونَ قصة خالدة عن عذاب الحب وجراحه، ويُلاحَظ التّنويع في الأساليب الإنشائية ما بين نداء وطلب واستفهام، وكلّ ذلك يدلّ على الحيرة والضياع الذي عاناه الشاعر.

لَسْتُ أَنْسَاكِ وَقَدْ أَغْرَيْتِنِي

بِفَمٍ عَـــذْبِ ٱلْمُنَادَاةِ رَقِيقْ

وَيَدٍ تَمْتَدُّ نَحْوِي كَيَدٍ مِنْ

خِلَالِ ٱلْمَوْجِ مُدَّتْ لِغَرِيقْ

وَبَرِيقٍ يَظْمَأُ ٱلسَّارِي لَهُ

أَيْنَ فِي عَيْنَيْكِ ذَيَّاكَ ٱلْبَرِيقْ

يبدأ باستحضار الذكريات، ويستخدم النفي لتأكيد عدم نسيان أدقّ تفاصيل المحبوبة؛

ومنها مناداتها له بحب ورقة، ويشرع بوصف المحبوبة، وكيف كانت تمدّ يدها إليه، ومن ثمّ يصف بريق العينين، وما فيه من سحر جذاب يخلب الألباب، ويعود ليسأل عن هذا البريق أين اختفى، وكأنّه يجمع ما بين الحنين للماضي، والحسرة على الحاضر وكيف تلاشى الحبّ فيه وضاع

يا حَبِيبًا زُرْتُ يَوْمًا أَيْكَهُ

طَائِرَ ٱلشَّوْقِ أُغَنِّي أَلَمِي

لَكَ إِبْطَـــاءُ ٱلْمُـذِلِّ ٱلْمُنْعِمِ

وَتَجَنِّي ٱلْقَـــادِرِ ٱلْمُحْـتَكِمِ

وَحَنِينِي لَكَ يَكْوِي أَضْلُعِي

وَٱلثَّوَانِي جَمَرَاتٌ فِي دَمِي(١٨)

يشكو الشاعر هموم الحب وآهاته ويبثّ آلامه لطائر الحب، وهو أمر مألوف لدى كثير من الشعراء، ويصف عظمة هذا الحب، وكيف كانت المحبوبة تُسيطر عليه وتتحكّم به وبمشاعره، وهذا يدلّ على شدة تعلقه بها وحنينه إليها ولكلّ لحظات الحب القديم بينهما، حتى وصل الحنين إلى درجة أن يكون نارًا تضطرم في حنايا جسد العاشق، والوقت يمرّ كالجمر المتّقد في شرايينه(١٩).

أَعْطِنِي حُرِّيَّتِي أَطْلِقْ يَدَيَّا

إِنَّنِي أَعْطَيْتُ مَا ٱسْتَبْقَيْتُ شَيَّا

آهِ مِنْ قَيْدِكَ أَدْمَى مِعْصَمِي

لِمَ أُبْقِيهِ وَمَـــا أَبْـــقَى عَلَيَّا

مَا ٱحْتِفَاظِي بِعُهُودٍ لَمْ تَصُنْهَا

وَإِلَامَ ٱلْأَسْرُ وَٱلذِّكْرَى لَدَيَّا

إنّ عذاب الحب الذي عاناه الشاعر والآلام والنّيران التي اضطرمت في صدره، جعلته

يبحث عن الخَلاص من هذا الألم، وإن كان يعرف حقّ المعرفة أنّ هذا الحب لن ينتهي في قلبه أبدًا، لكنّه حاول أن يُواسي نفسه ببعض الكلمات التي تخفّف من وطأة هذا العذاب، فيطلب من المحبوبة أن تطلقَ سراحه، وتفكّ قيود الحب التي أثقلت كاهله، ويقول إنّه لن يصون عهدًا طالما أنّ المحبوبة لم تحفظ العهد والحب، وبعدها يبدأ بالمناجاة الذاتية ويسأل في تعجّب من حاله وما فيه من عذاب وحزن وأسر، وكلّ الدنيا متاحة أمامه(٢٠).

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي حَبِيبٌ سَاحِرٌ

فِيـــهِ عِـــزٌّ وَجَلَالٌ وَحَيَاءْ

وَاثِقُ ٱلْخُطْوَةِ يَمْشِي مَلَكًا

ظَالِمُ ٱلْحُسْنِ شَجِي ٱلْكِبْرِيَاءْ

وَمِنَ ٱلشَّوْقِ رَسُولٌ بَيْنَنَا

وَنَدِيـــمٌ قَـــدِّمَ ٱلْكَاسَ لَنَا

هَل رَأَى ٱلْحُبُّ سُكَارَى مِثْلَنَا

كَمْ بَنَيْنَا مِنْ خَيَالٍ حَوْلَنَا

ومَشَيْنَا فِي طَرِيقٍ مُقْمِرٍ

تَثِبُ ٱلْفَرْحَةُ فِيهِ قَبْلَنَا

وضَحِكْنَا ضِحْكَ طِفْلَيْنِ

مَعًا، وَعَدَوْنَا فَسَبَقْنَا ظِلَّنَا

لم تنجح محاولات الشاعر في نسيان المحبوبة والتخلّص من قيود الحب، وسرعانَ ما عاد لتذكّر المحبوبة وصفاتها الجميلة التي جعلته عاشقًا هائمًا بها وبجمال صفاتها الخَلقية والخُلقية، ويستخدم صورًا وأساليب بلاغية مختلفة في وصف المحبوبة لا لِيُظهر براعته في البلاغة؛ بل لأنّ جمالها يفرض عليه هذا الوصف، فعلى الرغم من مرور خمس عشرة سنة على الفراق لم ينسَ تفاصيلها وصفاتها أبدًا، وممّا يؤكد أنّ الشاعر لم يكن يطلب فك قيود

الحب حقيقةً، هو قِصر المقطع الذي طلب فيه أن يأخذ حريّته من هذا الحب، وطول المقطع الذي يصِف فيه المحبوبة ويتذكّر الأيام السابقة.

وَٱنْتَبَهْنَا بَعْدَمَا زَالَ ٱلرَّحِيقْ

وَأَفَقْنَا لَيْتَ أَنَّا لَا نُفِيقْ

يَقْظَةٌ طَاحَتْ بِأَحْلَامِ ٱلْكَرَى

وَتَوَلَّى ٱللَّيْلُ وَٱللَّيْلُ صَدِيقْ

وَإِذَا ٱلنُّورُ نَذِيرٌ طَالِعٌ

وَإِذَا ٱلْفَجْرُ مُطِلٌّ كَٱلْحَرِيقْ

وَإِذَا ٱلدُّنْيَا كَمَا نَعْرِفُهَا

وَإِذَا ٱلْأَحْبَابُ كُلٌّ فِي طَرِيقْ[٢١]

مهما طالت الذكريات، والحنين للأيّام السابقة لا مَهرب من الحاضر، ومن الحقيقة المُرّة المُتعبة، وكما يُقال: "الحقيقة المُرّة أفضل من الوهم المريح"، وعلى هذا النحو سارَ إبراهيم ناجي في قصيدته، فبعد أن تذكّر عذوبة الأيام الخوالي، ورقّة الحب الذي كان بينه وبين معشوقته، أذعن للواقع المرير، وكيف صار حالهما بعد الفراق، ولم يعد لشيء في هذه الدنيا حلاوة، وكلّ جميل فيها صار بنظره قبيح.

أَيُّهَا ٱلسَّاهِرُ تَغْفُو

تَذْكُرُ ٱلْعَهْدَ وَتَصْحُو

وَإِذَا مَا ٱلْتَامَ جُرْحٌ

جَدَّ بِٱلتِّذْكَارِ جُرْحٌ

فَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَنْسَى[٢٢][٢٣]

وَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَمْحُو

يعود الشاعر مرّة أخرى لمحاولة إقناع نفسه بنسيان الماضي، والتخلّص من عذاب الحب والفراق، ويُناجي قلبه بأن ينسى ويمحو الماضي؛ كي تتعافى جراحه ويبدأ حياته بعيدًا عن هذه الآلام، ويُعلّل نفسه بالآمال، وأنّه من المُمكِن أن ينسى.

يَا حَبِيبِي كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاء

مَا بِأَيْدِينَا خُلِقْنَا تُعَسَاءْ

رُبَّمَا تَجْمَعُنَا أَقْدَارُنَا

ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَمَا عَزَّ ٱللِّقَاءْ

فَإِذَا أَنْكَرَ خِلٌّ خِلَّه

وَتَلَاقَيْنَا لِقَاءَ ٱلْغُرَبَاءْ

وَمَضَى كُلٌّ إِلَى غَايَتِهِ

فلا تَقُلْ شِئْنَا، فَإِن الحظ شاء(٢٤)

يصِل الشّاعر إلى طريقٍ مَسدود في إيجاد طريقة لنسيان المحبوبة؛ فيرمي بهذه الآلام وسبب الفراق على القدر، ويُقنع نفسه أنّ هذا هو نصيبه وحظّه في الدنيا، ويُلاحَظ أنّه خلال محاولته لإقناع نفسه أن ينسى يترك بارقة أمل للّقاء بالمحبوبة، وهذا يدلّ على مقدار تمكّن هذا الحب في قلبه وعقله وجوارحه، ويختم باعترافه أنّ ابتعاده عن المحبوبة ما كان بإرادته ولا بإرادتها، بل هو نصيبهما وقدرهما.

لقد اختلف الباحثون والمفكرون والأدباء حول هوّية صاحبة الأطلال

والسؤال الذي يطرح نفسه ويتساءل عبره المحللون والمفكرون (من هي صاحبة الأطلال):

كتب الشاعر مقدمة لـ"لأطلال" قال فيها: "هذه قصة حب عاثر: التقيا وتحابا ثم انتهت القصة، بأنها صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت".

كثرت النساء في حياة ناجي، وكتب في كثير منهن شعراً، تقول ابنته السيدة أميرة: "عاش ناجي حياته باحثًا عن المرأة الملهمة التي تخرج ما بداخله من قصائد وكانت أبواب قلبه مفتوحة لملهماته ليلا ونهاراً؛ وكن يتوافدن عليه كما تتوافد القصائد على أوراقه التي يكتبها لهن إعجاباً وعشقاً في جمالهن أو فنهن"، ومن هؤلاء النساء الفنانة "أمينة رزق" وكتب فيها قصيدة "نفرتيتي الجديدة" والفنانة "زينب صدقي" وكتب فيها "وداع مريض.

" و"زوزو حمدي الحكيم" التي تقول بأن ناجي قال "الأطلال" فيها.

و "زوزو ماضي" وقال فيها قصيدة "صخرة المكس"، وادعت أنه قال فيها "الأطلال"، و"زوز نبيل" والفنانة "أمينة نور الدين"، وفيها قال بعض الأبيات الشعرية،

والمطربة "شهرزاد" و"جميلة العلايلي" و"زينب حسين" والصحافية "أماني فريد" وقال فيها "الأمل" والعازفة "أنعام"، وفيها قال "صولة الحسن" وكتبها قبل شهر من رحيله؛ والراقصة "سامية جمال" وقال فيها قصيدة "بالله مالي ومالك"،

والفنانة "زازا" وكتب فيها رواية اسمها "زازا" وقصيدتي: "زازا" و"الطائر الجريح".

ومن المعروف أن ناجي كان طبيب نقابة السينمائيين والممثلين المصرية، ومن هنا تعرف على عدد كبير من الفنانات، هذه المعرفة سمحت للكثيرات منهن الادعاء بأنها ملهمة قصيدة الأطلال وغيرها من القصائد.

هل هي زينب صدقي؟ عام ١٩٢٨ شاهد الفنانة "زينب صدقي" وهي تؤدي دور "ليلى" في مسرحية "مجنون ليلى" لأمير الشعراء "أحمد شوقي" وكانت آنذاك مريضة فعالجها حتى تماثلت للشفاء ولم يستطع أن يخفي إعجابه الشديد بفنها فكتب فيها قصيدة "وداع المريض" ويبدو أن القصة انتهت بشيء من الإعجاب العابر.[٢٥]

أم زوزو حمدي الحكيم؟ أما علاقته بالحكيم فتقول ابنته أميرة بأنها لم تتعد الصداقة وهو لم يكتب الأطلال لأجلها ولعل السبب في ظهور هذه الشائعة هو أن والدي كان إذا جاءه الخاطر سجله على روشتات المرضى (أوراق وصفات العلاج) فتعتقد المريضة أنه كتبها من أجلها، يذكر الصحفي محمد رجب في مقاله المنشور بمجلة أخبار الأدب بعنوان «أنا ملهمة شاعر الأطلال» بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٦ إن زوزو حمدي الحكيم أخبرته بأنها هي

بطلة قصيدة الأطلال التي غنتها أم كلثوم. أرجعت الحكيم قصة حب ناجي لها عندما كان يذهب إلى علاج أمها بالمنزل، ووجدت أبياتاً شعرية مكتوبة على "روشتات" خاصة بعلاج أمها، كُتب على أحدها(٢٦):

يـــا حبيبًـــا زرت يومًـــا.. أيكـــه طـــائر الشـــوق يغـــني ألمـــي

لـــك إبطـــاء المـــذل المنعـــم وتجـــني القـــادر المنعـــم

تكمل زوزو حديثها: "القصيدة كُتب معظمها على الأوراق الخاصة بعلاج أمي، وكان يتركها وسط أوراق الأدوية المراد صرفها لوالدتي، وكنت أظنها إلهامات أتته دون سابق إنذار فلم تجد أوراق الروشتة إلا أن تكون لها منفذًا، لكن عندما غنتها أم كلثوم تيقنت أنني كنت المرادة في هذه الأغنية". وأردفت زوزو: "فى إحدى المرات سمعت أغنية أم كلثوم "الأطلال"، وشعرت أننى قرأت تلك الأبيات من قبل، وعدت إلى (الروشتات) التي كان يكتبها (ناجي) لوالدتي، ووجدت كل بيت من أبيات القصيدة على كل روشتة؛ وتستدرك "الحكيم" على لسان محمد رجب بأن علاقتها بناجي لم تكن متوطدة للحد الذي يسمح بإقامة علاقة غرامية بينهما.

هل هي "زازا"؟: وهي آخر امرأة كانت على علاقة معه، تقول الرواية بأنه وأثناء الحرب العالمية الأولى عانى ناجي من الوحدة والكآبة، وعام ١٩٤٤ تعرف على الفنانة "زازا" التي كانت كثيراً ما تناقشه في شتى فروع الأدب والثقافة، وكانت تعقد ندوات أدبية وفنية في صالونها الأدبي، كان من رواده محمد عبد الوهاب والعقاد وأحمد رامي وفكري أباظة وصالح جودت ومحمد التابعي، فأنس إليها، وكانت بينهما مراسلات أدبية، ولكن ضغوط الحياة قادته إلى الانفصام عن الحياة، وعن زازا التي هجرته، زازا هذه كانت تصغره بربع قرن، وكانت ملهمة عدد من الشعراء الآخرين منهم صديقاه علي محمود طه وأحمد رامي، يقول صالح جودت: "لستُ أجانب الحق إذا قلتُ إن زازا هي المرأة الوحيدة التي أحبت ناجي. كانت شابة وسيمة السمات، طليقة الروح، تعشق الشعر: قديمه وحديثه، وتحفظ الكثير من هذا وذاك، ولم تكن ذات مطامع كمطاعم الغانيات، كان كل همها في الحياة أن تكون إلى جانب شاعر يحبها وتحبه(٢٧).

ولكن مقدمة القصيدة تقول عن حبه لصاحبة الأطلال بأن "القصة قد انتهت"، مما يعني

أن نستبعد زارا هذه التي استمرت علاقته بها إلى وفاته، والتي قالت حين بلغتها وفاته "لم يمت ولكنه ذهب ولم يترك عنوانه"!

لابد أنها (ع. م): طوَّف ناجي كثيراً في عالم النساء، وتعرف إلى العديد منهن ولكن حنينه كان للحبيب الأول في أول منزل، والتي هي ابنة الجيران وإحدى قريباته، تعارفا وهما صغيران، ونشأت بينهما علاقة حب، عُرفت بأول أحرف اسمها (ع. م.) ثم عُرف اسمها فيما بعد (عنايات محمود الطوير) وحسب صالح جودت فإن ناجي لم يحب أحدا في حياته قدر ما أحب تلك الطفلة التي عاشت معه في مدينة الأحلام، وأن غرامياته الأخرى وهي جمة لم تكن إلا محاولة لملء فراغ قلب ملهوف على حب قديم. (٢٨)

ويؤكد الأستاذ "حسن توفيق" أنها لم تتجاوب مع عاطفته تجاهها، ولم تكن تلقاه بسوى العطف والإشفاق، ويشير "توفيق" إلى أن أميرة ـ ابنة الشاعر ـ تؤكد بأن عنايات هذه هي الملهمة الحقيقية للأطلال، وكان ناجي يعود إلى "مدينة الأحلام" حيث منزل الحبيب الأول لعله يرى طيفاً منها قد بدا، وكتب من وحي هذه الزيارة قصيدته "العودة" التي قدم لها بقوله "عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيَّرت حالها"، ومطلع القصيدة(٢٩):

هـذه الكعبـة كنـا طائفيـها ... والمصـلين صـباحاً ومسـاء

كـم سـجدنا وعبـدنا الحسـن فيهـا ... كيـف بـالله رجعنـا غربـاء(٣٠)

تقول الرواية بأنه ذهب لدراسة الطب بعيداً عنها وعاش تلك الفترة يحلم بحبيبته واليوم الذي سيعود فيه ويراها؛ ولكن عند عودته فوجئ أنها تزوجت؛ فما باليد حلية سوى أنه كتم حبه في صدره وعاش قلبه ينبض بالحب دون أن يرى حبيبته أو يعرف عنها شيئاً.

وهنا نحن أمام روايتين: تقول الأولى: مرت سنوات طوال مدتها خمسة عشر عامًا لم ينسها ناجى، وذات ليلة من ليالي الصيف طرق بابَه رجلٌ أربعيني يستغيث به كطبيب لينقذ زوجته التي كانت فى حالة ولادة متعسرة، ذهب معه الطبيب إبراهيم ناجى ليجد زوجة الرجل نائمة مغطاة الوجه وفى حالة خطرة للغاية؛ فحاول إنقاذها ولكنها كانت تتنفس بصعوبة جدًا فطلب من الحاضرين أن يكشفوا وجهها المغطى لتستطيع التنفس وحينها كانت المفاجئة إذ أنها حبيبة عمره.

بقلب رجل شاعر مرهف الحس بكى "ناجى" حينها وسط ذهول الحاضرين، وبعد أن أتم هدف زيارته على أكمل وجه ورزقت بمولدها ذهب إلى بيته ليجلس على كرسيه ويكتب "الأطلال" وليبكي حبه الضائع وليشرب على أطلاله.

الرواية الثانية رواها الكاتب "محمد رضوان" في كتابه "ناجي.. شاعر الأطلال" عن الصحافية "أماني فريد" التي ذكرت القصة في مجلة "الكواكب ١٩٨٩/١/٦" وقالت بأنه كان مدعواً لمأدبة غداء في بيتها سيحضره بعض الشعراء والأدباء، ولكنه تأخر عن موعده، وإذ بناجي يدخل وهو يتصبب عرقاً ويعتذر عن التأخير؛ وبدأ يقص سبب تأخره فقال:" ذهبت إلى محل جروبي لأشتري بعض الحلوى هدية لصاحبة المائدة، وإذ بسيدة تحملق في وجهي عدة مرات ثم تقترب مني وتقول لي: ألست أنت الدكتور إبراهيم ناجي؟ وأجبتها: نعم، أنا ناجي، قالت: ألا تعرفني؟ فتفرستُ في وجهها ووجدت التجاعيد تملؤه وقد زحف الشيب إلى رأسها وبدت عجوزاً محطمة.

وقال لها ناجي: آسف، لا أذكر، قالت: أنا جارتك فلانة التي كنتُ أسكن إلى جواركم في حدائق القبة، وكنا متحابين وتعاهدنا على الزواج ولكن إرادة الله شاءت غير ذلك وتزوجتُ أنا؛ وأنت ما زلتَ تدرسُ في كلية الطب.

ثم أخذ ناجي ورقة وبدأ بكتابة قصيدة "الأطلال" واستمر يكتب قصيدته وهو يرتجف والعرق يتصبب منه، ولم يأكل شيئاً وتركنا وخرج لنسمع بعد ذلك عن قصيدته التي أتمها"[٣١].

تقول ابنته أميرة: كُتبت الأطلال لفتاة تدعى "عفت" وهي الحب الأول في حياة أبي فكان حب مراهقة وهي ابنة الجيران وكان بين عائلة "عفت" وعائلة والدي صداقة قوية وكان بينهما [٣٢]زيارات عائلية فتعلق أبي بعفت ولكنها لم تكن تتحدث اللغة العربية فتعلم الفرنسية من أجلها وكتب فيها أشعاره وظل يحب "عفت" في صمت دون أن يخبرها بحقيقة شعوره واقتصر حبه على النظرات والهمسات وعندما تزوجت "عفت" أصابته صدمة عاطفية حادة وظل مضربا عن الزواج وكتب قصيدة الأطلال يصف فيها حاله".

أما الأستاذ حسن توفيق المختص بأدب ناجي فيقول: فى السنوات الأخيرة من حياة صالح جودت، صديق ناجى، كانت علاقتي به علاقة وثيقة، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيال، وفى جلسة حميمية معه سألته عن ملهمة «الأطلال»،

فأكد لى أن ناجى لم يكتب رائعته من وحى أية ممثلة من اللواتي ادعين ذلك الادعاء، وقال لى إنها من وحى حبه الأول «ع. م»، فاستفسرت منه عنها، فأخبرني باسمها، ورجانى أن أحتفظ بالأمر سراً، لأنها مازالت على قيد الحياة، ولأن «ناجى» كان يحبها من جانبه هو فحسب، وبعد رحيل «جودت» سألت الأخ الأصغر لـ«ناجى»، "حسن ناجى"، فأكد ما ذكره «جودت»، والآن وقد رحلتْ أجد أن من حقي أن أذكر اسمها، هى عنايات محمود الطوير".(٣٣)

قصيدة الأطلال وتحويلها إلى أغنية:

كان ناجي شغوفاً بفن أم كلثوم ويتمنى أن تغني من كلماته، وعندما شُفيت من مرض في عينيها كتب لها قصيدة بهذه المناسبة، ولكن القصيدة لم تظهر في ديوانه، وهي من القصائد التي كانت مفقودة عند جمع ديوانه، واكتشفت فيما بعد، ويقول "صالح جودت" بأنه سمعه يبدي رغبته لأحمد رامي بذلك، ولكن أم كلثوم لم تحقق له هذه الرغبة إلا بعد رحيله عندما غنت له "الأطلال"؛ وهناك من يقول بأن "ناجي" كان يقصد فيلا "أم كلثوم" في الزمالك عارضاً عليها أن تغني من كلماته.

الثابت أن "أحمد رامي" حمل القصيدة لأم كلثوم، مطلع الستينيات، فأعجبت بها، ونظراً لطولها كلفت عدداً من الأدباء اختيار أبيات مناسبة لغنائها، وتكونت "اللجنة" من: كمال الملاخ وكامل الشناوي ومأمون الشناوي وصالح جودت وأحمد رامي وعبد الوهاب محمد، واختاروا (٢٥) بيتاً من قصيدة الأطلال، وتم اختيار سبعة أبيات أخرى من قصيدة "الوداع"، تمت عملية تضمين هذه الأبيات على يد الشاعر أحمد رامي، وتم إجراء تعديلات طفيفة على بعض الكلمات:

في البيت الأول اعترضت على قول الشاعر" يا فؤادي رحم الله الهوى" وقالت: إنها لن تغنيها في سرادق أو على مقبرة " فتمت صياغة البيت بصيغة "يا فؤادي لا تسل أين الهوى".

اكتفت بثلاثة أبيات بدل أربعة من كل مقطوعة، ولم تلتزم بترتيب المقاطع المغناة كما في الأصل.

غيرت كلمة "الدلال" إلى "المذل".

غيرت كلمة "أعظمي" إلى "أضلعي".

في المقطع (١٧) تم مد حرف القافية "الياء" من: يديْ، شيءْ، عليْ، لديْ. إلى "يديا، شيًا، عليًا، لديا".

في البيت (١٤) جاء في الأغنية كلمة "مَلَكاً" (بفتح اللام) بدل كلمة "مَلِكاً بكسرها؛ كما في ديوان "ليالي القاهرة"، وبالمناسبة جاءت الكلمة في "ديوان إبراهيم ناجي" هذه الكلمة بالفتح ""مَلَكاً".

في البيت (١٧) جرت صياغة البيت على النحو التالي:

"وأنـــا حـــب وقلـــب هـــائم وفـــراش حـــائر منـــك دنـــا"

وكان في الأصل

"وأنـــا حـــب وقلـــب ودمٌ وخيـــالٌ حـــائر منـــك دنـــا"

تمت صياغته البيت الأخير كالتالي "لا تقل شئنا فإن الحظ شاء" بعد أن كان "لا تقل شئنا وقل لي الحظ شاء" ويبدو أن التغيير في هذا البيت كان لدواع موسيقية لحنية، ويُعتبر الشاعر عبد الوهاب محمد صاحب التعديل هنا.

جرى تغيير كلمة "الشاعر" إلى "الساهر" في البيت (٢٦) والذي هو في الأصل:

"أيهـــا الشـــاعر تغفـــو تـــذكر العهـــد وتصـــحو"

ومما يؤسف له أنه جرى كسر للبيت الشعري (٢٦) من القصيدة، ففي الأصل كان البيت على النحو التالي: "وإذا ما التام جرح ..." بدون وضع همزة على الألف، وجاء في الأغنية " التأم" بهمز الألف، مما أدى للكسر(٣٤).

لماذا حوَّل السنباطي الرباعيات في أطلال ناجي إلى ثلاثيات؟

يبلغ عدد أبيات القصيدة ١٣٤ بيتاً، وتتكون من (٣٤) مقطعاً، يتكون كل مقطع من أربعة أبيات، وهناك مقطعان مكونان من بيتين اثنين، وهي على بحر الرَّمل، وهناك (٦) مقاطع على مجزوء الرَّمَل. وحسب الشاعر فاروق شوشة فهذا "البحر الشعري الذي صاغ

منه ناجي ملحمته [٣٥]الشعرية؛ ملائم كل الملاءمة لمثل هذه التجربة الشعرية العميقة التي عبّر عنها ناجي أجمل تعبير، وصوَّرها أروع تصوير".[٣٦]

اختارت اللجنة المكلفة بانتقاء الأبيات المناسبة، ثمانية رباعيات من "الأطلال" واثنتين من "الوداع" وأسقطت بيتاً من كل رباعية، [باستثناء الرباعية الأخيرة في الأغنية فقد جاءت تامة، والرباعية الثانية المعتمدة من قصيدة الوداع]، حاول الدكتور "سعد الله آغا القلعه" الإجابة على هذا السؤال فقال: أعاد (السنباطي) ترتيب تلك الرباعيات ليرسم القصة التي أرادها، وليحقق ضرورات البناء اللحني الذي خطط له؛ ولكن السنباطي استبعد، في ٨ رباعيات، أحد الأبيات، ليكتفي بثلاثة منها فقط، ويحول تلك الرباعيات إلى ثلاثيات! مبقياً على رباعيتين اثنتين كما وردتا؛ فلماذا كان ذلك؟ ثم يتساءل القلعة:

"هل كان ذلك لاستبعاد أبيات بدت له أضعف من غيرها (لغبار آدمي مسَّنا!)؟ أو لأنها ضمت مفردات لم يجدها ملائمة (آه يا قبلة أقدامي)؟ أو لأنها خالفت في تحريك قافيتها القافية البديلة التي تسمح له بإطلاق صوت أم كلثوم (ها أنا جفت دموعي)؟

هل كان ذلك بغرض تكثيف المعاني؟

هل كان ذلك بغرض تسريع إيقاع التطور الدرامي على مستوى الرباعية الواحدة؟

هل كان ذلك بغرض تسريع التناوب بين المشاهد الهادئة والحيوية

وهذا في إجماله يطرح سؤالاً مازال بحاجة إلى مزيد من البحث:

مبدأ اعتماد أبيات من قصيدة مطولة، لتُلحَّن، واستبعاد أبيات أخرى، مبدأ مطروق.

ولكن هل سبق أن استبعد ملحنٌ أبياتاً من رباعيات، لتصبح ثلاثيات، كما فعل السنباطي؟

وأخيراً: في حال ثُبتَ أن أحداً لم يسبق السنباطي إلى ذلك[٣٧].

ألا يكون هذا من إبداعاته؟"

يقول الشاعر فاروق شوشة:

" الطريف في الأمر، أن المقاطع التي لم يقع عليها الاختيار للغناء، هي أوفر حظاً من الشاعرية، وأكثرها اتقاناً من الناحية الفنية، وقيمة تعبيرية وتصويرية، وقد يكون إيثار الوضوح والبساطة والسلاسة وراء المقاطع التي لُحنت وغُنِّيت، حتى يسهل أداؤها وذيوعها[٣٨].

الخاتمة:ـ

لقد تأثر الشعراء العرب المحدثين بالأحداث المحيطة بهم، فكان لا بدّ لهم من التعبير عمّا يدور في خواطرهم من مشاعر أمل وشغف وخوف ونصر وحزن وقوة...

ونخصّ بالذكر الشعراء الرومانسيين الذين كانوا يتميّزون عن غيرهم بالحس العالي المرهف والحنين إلى الماضي والشعور بلوعة الحب والهجران والخوف من الأحداث الواقعية ونتائجها فكان الشاعر إبراهيم ناجي شاعر الرومانسية بلا منازع، وكان سيطه يسبق أشعاره في جميع أرجاء الأرض.

كان شاعراً مفعماً بـــ طاقة الحب العميقة، فكان قلبه دائم الخفقان ومشاعره دائمة التدفق وخياله وسعة آفاقه لا حدود له.

كان عندما يكتب الشعر، ينصاع قلمه لمشاعر قلبه فيكون القلم مجرد أداة ومشاعره وعواطفه وأحاسيسه هي جميعها تشترك في عملية الإبداع الشعري لديه.

ونجد أن الذروة الرومانسية عنده كانت في قصيدة الأطلال التي تحسر إبراهيم ناجي على محبوبته والعشق الذي كان يُسلي قلبه به.

ووصف إبراهيم ناجي حالته السيئة ومعناناته بسبب غياب المحبوبة عنه، حيث تذكر الأيام الخوالي التي كان يأنس بها مع حبيبته كعاشقين لم يلد التاريخ مثلهما ونجد مشاعر الحزن التي كانت واضحة عليه بعد انتهاء ملحمة الحب دون أن يدري السبب الذي آل إلى ذلك..

وفي الختام نجد أن الشاعر إبراهيم ناجي قد برع في الشعر الرومانسي وكان الشاعر المبدع في المدرسة الرومانسية، ويتعبر إبراهيم ناجي من روّاد التجديد وأعلام الشعر العربي المعاصر الذي تأثر به الكثير من شعراء العصر الحديث.

ونجد أن الموسقى كان لها تأثير في شعره وقد تأثر بإيقاعاته الشعرية التي كانت تساير معانيه وتتلون بانفعالاته وعواطفه الكثير من شعراء المشرق العربي.

ونلاحظ التجديد عنده من خلال القافية التي كانت تتغير كل بيتين أو ثلاثة أو أربعة وقليلاً ما يلتزم الشاعر إبراهيم ناجي القافية الواحدة في قصائده.

وقد لوحِظ تشابه شعره بالموشحات الأندلسية في استخدام الأوزان المجزوءة كثيراً، كما كان يستخدم المقطّعة بدلاً من البيت

فهو الطبيب الشاعر الذي لا يشقّ له غبار، فبراعته في الطب لا تقلّ عن إبداعه الشعري الذي كان يتغذى على الحب الأسمى الذي لا يفارق مخيّلة الشاعرالطبيب إبراهيم ناجي.

هوامش البحث

(١) في الأدب الحديث،عمر الدسوقي،دار الفكر العربي، مجلد٢، ص ٣

(٢) تاريخ الأدب العربي في مصر، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف ١٩٦١م ص٣٣

(٣) إبراهيم ناجي حياته وشعره؛ وبلابل من الشرق، سلسة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢

(٤) إبراهيم ناجي حياته وشعره؛ وبلابل من الشرق، سلسة اقرأ، دار المعارف

(٥) إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، محمد عويضة محمد، بيروت دار العلمية،

(٦) ليالي القاهرة: إبراهيم ناجي (سلسلة أدباء القرن العشرين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨، تقديم ومراجعة: بشير عياد

(٧) الأعمال الشعريّة الكاملة إبراهيم ناجي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة

(٨) ليالي القاهرة: إبراهيم ناجي (سلسلة أدباء القرن العشرين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨، تقديم ومراجعة: بشير عياد

(٩) مقال بعنوان: إبراهيم ناجي: الشاعر والإنسان، بقلم محمود الشرقاوي) مجلة الهلال ص ٦٠ ـ ٨٥

(١٠) ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣، تذييل بقلم سامي الكيالي

(١١) مقال بعنوان: خمسون عاما على رحيل شاعر "الأطلال"، بقلم: فاروق شوشة) مجلة العربي: عدد ٥٤٨، يوليو.

(١٢) ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣، تذييل بقلم سامي الكيالي

(١٣) مقال بعنوان: الأطلال. غنتها أم كلثوم في سن الثامنة والستين، بقلم بشير عياد، مجلة نصف الدنيا (عدد خاص عن أم كلثوم)

(١٤) إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة الكاملة،. تحقيق ودراسة: حسن توفيق. المجلس الأعلى للثقافة

(١٥) مجهولات جديدة في حياة إبراهيم ناجي وأدبه في كتابي: العين البصيرة.. قراءات نقديّة»، كتاب الرياض، مؤسسة

(١٦) إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، محمد عويضة محمد، بيروت دار العلمية

(١٧) الأعمال الشعريّة الكاملة إبراهيم ناجي، وانظر: حسن توفيق، إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة المختارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث،

(١٨) الأعمال الشعريّة الكاملة إبراهيم ناجي، وانظر: حسن توفيق، إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة المختارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث،

(١٩) شرح ديوان إبراهيم ناجي، شرحه وقدّم له الأستاذ: مجيد طراد، دار الفكر العربي،

(٢٠) ليالي القاهرة: إبراهيم ناجي (سلسلة أدباء القرن العشرين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢١) إبراهيم ناجي: شاعر الأطلال وأحلى قصائده العاطفية، محمد رضوان، دار الكتاب العربي

(٢٢) مقال بعنوان: ملهمة إبراهيم ناجي الحقيقية في قصيدة الأطلال، بقلم الدكتور يوسف بكار، جريدة الرأي (الأردنية)

(٢٣) الأعمال الشعريّة الكاملة إبراهيم ناجي، وانظر: حسن توفيق، إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة المختارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

(٢٤) الأعمال الشعريّة الكاملة إبراهيم ناجي، وانظر: حسن توفيق، إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة المختارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

(٢٥) مجهولات جديدة في حياة إبراهيم ناجي وأدبه في كتابي: العين البصيرة.. قراءات نقديّة،، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة

(٢٦) مقال بعنوان: ملهمة إبراهيم ناجي الحقيقية في قصيدة الأطلال، بقلم الدكتور يوسف بكار، جريدة الرأي (الأردنية)

(٢٧) مجهولات جديدة في حياة إبراهيم ناجي وأدبه في كتابي: العين البصيرة.. قراءات نقديّة»، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة،

(٢٨) أزهار الشعر، إبراهيم ناجي، بيروت، دار الكتاب العربي

(٢٩) إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، محمد عويضة محمد، بيروت دار العلمية

(٣٠) الأعمال الشعريّة الكاملة إبراهيم ناجي، وانظر: حسن توفيق، إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة المختارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

(٣١) مجهولات جديدة في حياة إبراهيم ناجي وأدبه في كتابي: العين البصيرة.. قراءات نقديّة، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة،
(٣٢) إبراهيم ناجي: شاعر الأطلال وأحلى قصائده العاطفية، محمد رضوان، دار الكتاب العربي،
(٣٣) مقال بعنوان: الأطلال. غنتها أم كلثوم في سن الثامنة والستين، بقلم بشير عياد مجلة نصف الدنيا (عدد خاص عن أم كلثوم)
(٣٤) موقع سطور أدب، شعر / تحليل قصيدة الأطلال للشاعر إبراهيم ناجي
(٣٥) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، عبد المنعم الخفاجي، بيروت
(٣٦) إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، محمد عويضة محمد، بيروت دار العلمية
(٣٧) موقع سطور أدب، شعر / تحليل قصيدة الأطلال للشاعر إبراهيم ناجي
(٣٨) شاعر الرّقة العاطفيّة، مقدمته على كتاب «ناجي حياته وشعره» لصالح جودت.

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة الكاملة،. تحقيق ودراسة: حسن توفيق. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦. وراجع دراستي النقديّة لهذه الأعمال في كتابي «العين البصيرة: قراءات نقديّة»، كتاب الرياض،، مؤسسة اليمامة، السعوديّة، ٢٠٠١.

٢. الأعمال الشعريّة الكاملة إبراهيم ناجي، وانظر: حسن توفيق، إبراهيم ناجي: الأعمال الشعريّة المختارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ٢٠٠٣.

٣. شاعر الرّقة العاطفيّة، مقدمته على كتاب «ناجي حياته وشعره» لصالح جودت، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧.

٤. ناجي حياته وشعره؛ وبلابل من الشرق، سلسة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢.

٥. مجهولات جديدة في حياة إبراهيم ناجي وأدبه في كتابي: العين البصيرة.. قراءات نقديّة»، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م.

٦. دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، عبد المنعم الخفاجي، بيروت، دار الجبل ١٩٩٤م.

٧. تاريخ الأدب العربي في مصر، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف ١٩٦١م

٨. إبراهيم ناجي شاعر الأطلال، محمد عويضة محمد، بيروت دار العلمية، ١٩٩٣م

٩. أزهار الشعر، إبراهيم ناجي، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٦٦م

١٠. في الأدب الحديث،عمر الدسوقي،دار الفكر العربي الطبعة: الجزء الأول ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢

١١. مجلة نصف الدنيا (عدد خاص عن أم كلثوم) شباط، فبراير ٢٠٠٠(مقال بعنوان: الأطلال. غنتها أم كلثوم في سن الثامنة والستين، بقلم بشير عياد).

١٢. مجلة الهلال: (مقال بعنوان: خمس قصائد مجهولة لشاعر الأطلال إبراهيم ناجي، بقلم: حسن توفيق) يونية ١٩٧٧ سنة ١٩٨٥م

١٣. مقال بعنوان: ملهمة إبراهيم ناجي الحقيقية في قصيدة الأطلال، بقلم الدكتور يوسف بكار، جريدة الرأي (الأردنية) ٢٠١٤/٤/١١

١٤. إبراهيم ناجي: شاعر الأطلال وأحلى قصائده العاطفية، محمد رضوان، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠٤.

١٥. موقع سطور أدب، شعر، تحليل قصيدة الأطلال للشاعر إبراهيم ناجي.